

★ مكتبة المعهد الوطني العالي لأصول الدين (1) بين الوظيفة التعليمية والبحثية

دراسة من إعداد : فتيحة بونفيخة

مقدمة:

كانت المكتبات في الماضي عبارة عن خزائن أو مستودعات للكتب يشرف عليها عالم أو أديب أو محب للكتب حريص عليها، وكان يسمى أحيانا قيما وأحيانا خازنا وذلك لشدة حرصه عليها خشية الضياع أو التلف أو السرقة، لكن هذا المفهوم بدأ ينقرض.

يقول أحمد بدر في كتابه «مقدمة في علوم المكتبات والمعلومات»، ص 64 «وإذا كان أمين المكتبة في عالم الأمس قد اهتم بصورة أساسية بالعناية بالمواد المكتبية وصيانتها وحفظها، فإن أمين المكتبة في عالم اليوم وهو متخصص معلومات بالدرجة الأولى فقد أصبح يتولى مسؤولية إضافية هي جعل هذه المعلومات والمواد بجميع أشكالها تحت يد الباحثين والقراء وتنظيمها وتحليلها بطريقة تسمح باستخدامها الأمثل، فضلا عن جعله المكتبة أو مركز المعلومات مركز حياة ينمو نحو المجتمع بنشاطاته التعليمية والبحثية والإجتماعية المختلفة».

(1) - مداخلة قدمت في يوم دراسي حول «المكتبة في المؤسسات الإسلامية العليا»، 1996/10/20.

وظائف المكتبة:

إن نجاح المكتبة لا يقاس بعدد ما تملكه من أوعية المعلومات، ولا بتعدد أدوارها ولا بفخامة أثاثها وفرشها، ولا بما يصرف عليها من مبالغ مالية، ولكنه يقاس نجاح المكتبة بما تقدمه من خدمات فعالة لأفراد مجتمعها فمن الأمور المسلم بها أن جميع أوعية الإنتاج الفكري التي ترد إلى مكتبة المعهد إنما تقتنى لأجل الاستعمال سواء بقصد القراءة العامة أو البحث العلمي أو الحصول على معلومات وللإجابة على أسئلة وإستفسارات محددة، إن الإستعمال لهذه الأوعية من قبل رواد المكتبة لا يتم بصورة مرضية إلا بتنظيم هذه الأوعية بطريقة منهجية تيسر الوصول إلى أي منها تلبية لإحتياجات قارئ معين في وقت معين وفي أسرع وقت ممكن.

إن التنظيم الجيد لأوعية الإنتاج الفكري المختلفة لا بد أن يسير وفقا للمبادئ أو القوانين العامة التالية:

- أ - الكتب للاستعمال وليست لمجرد الاختزان أو الحفظ.
 - ب - لكل قارئ (باحث أو دارس ...) كتابه أو وثيقته التي تلائم إحتياجاته.
 - ج - لكل كتاب أو وثيقة قارئها الذي يفرض معالجته بطريقة تتواءم مع سماته في البحث.
 - د - ضرورة توفير وقت الباحث أو الدارس، ومن ثم ضرورة توفر السرعة والكفاءة والكفاية في لفظ الخدمة المقدمة للقراء.
 - هـ - المكتبة مؤسسة تنمو باستمرار وهذا يحتم علينا العمل الدائب من أجل أن يواكب نظام الفهرسة والضبط الببليوغرافي بالمكتبة كل التطورات العصرية بما يوفر للقارئ خدمة مكتبية ومعلوماتية تتماشى مع الإحتياجات المتغيرة.
- إن المبادئ السابقة إذا ما أخذت في الإعتبار لا بد أن تؤدي في النهاية إلى النتائج التالية:

1- توفير الوقت والجهد للقارئ والبحث العلمي.

1 - أوعية (مواد مكتبية من كتب ودوريات وغيرها) مختزنة وفق لحظة معينة متفق عليها بحيث يتيح هذا التنظيم عرضا منهجيا للمواد مما ييسر الإسترجاع الموضوعي لها من قبل الباحثين والدارسين.

2 - وجود جهاز ببليوغرافي رشيد تتحقق له السمات التالية:

أ - تمثيل كل وعاء فكري على بطاقة فهرسة وفقا لتقنين متبع للفهرسة وخطة للتصنيف وقائمة لرؤوس الموضوعات.

ب - ترتيب هذه البطاقات وفقا لقواعد تصنيف متقنة.

ج - وجود شبكة منهجية من وسائل الربط بين المداخل المختلفة المكونة للجهاز الببليوغرافي حتى لا يضل القارئ طريقه أثناء عملية البحث.

د - تشعب هذا الجهاز إلى عدد من الفهارس بقدر ما هناك من مداخل قد يلجأ إليها القارئ للوصول إلى الكتاب أو الكتب التي يريدها فهناك فهرس المؤلف وآخر للعنوان وغيره للموضوع.

3 - خدمات مناسبة للباحثين والدارسين تقدم لهم في مناخ علمي سليم، وتراعى فيه الخصائص المميزة لكل فئة من فئات رواد المكتبة (طلبة الليسانس، الماجستير، وأساتذة وباحثين).

إن أهم الوظائف التي تؤديها مكتبة المعهد حاليا هي:

1 - إختيار المواد المكتبية والحصول عليها بمختلف الوسائل وهذه المواد تشمل الكتب والدوريات وغيرها من المواد.

2 - تسجيل وترقيم تلك المواد لإثبات ملكيتها للمكتبة ومصدر الإقتناء.

3 - تنظيم وفهرسة تلك المواد، وإعداد الببليوغرافيات اللازمة.

4 - إعارة المواد المكتبية وإتاحة معظمها للقراء - فيما عدا بعض المراجع والمواد الخاصة.

الأهداف العلمية والبحثية لمكتبة المعهد:

إن المكتبة مؤسسة علمية تضم أشكالا عديدة من المواد المكتبية (الكتب، والدوريات، والأفلام والمخطوطات)، ويتم تنظيمها لاستخدامها من قبل مجتمع المستفيدين ورفع مستواهم العلمي والثقافي. والمكتبة بذلك ذات أهداف علمية وتربوية وبحثية وترفيهية وإجتماعية، وإذا كانت هذه الأهداف متداخلة مع بعضها فإن بعضها ذو أولوية بالنسبة للبعض الآخر بحسب نوع المكتبة.

إن المكتبة بأنواعها المختلفة يمكن أن تكون بذاتها مؤسسة تعليمية، ولكنها تكون أكثر كفاءة وفعالية وإنتاجية عندما تكون أداة مكملة للعملية التعليمية في المدرسة أو المعهد أو الجامعة، وعندما تكون جزءا لا يتجزأ من المنهج الدراسي على جميع المستويات.

فانطلاقا من العلاقة الوثيقة بين الكتاب ورسالة المعهد، وأهمية المكتبة كوسيلة اتصال بين أوعية الفكر وروادها من الطلاب والباحثين، ودور المكتبة في الإسهام الإيجابي في بناء الأجيال الجديدة، وإعداد الأطر الوطنية المؤهلة، إنطلاقا من هذا تدرك إدارة مكتبة المعهد جسامة المسؤولية الملقاة على عاتقها وأبعاد رسالتها العلمية والتربوية.

إن إدارة المكتبة أحرص ما تكون على تطوير مكتبة المعهد، وإثراء أرصدها، ورفع مستوى خدماتها، وفق أحدث الأساليب الفنية المستخدمة في مكتبات الجامعة المتقدمة في تنظيم المعلومات، وتيسير الحصول عليها لطلابها وباحثيها، حيث لم تعد المكتبة في مفهومها الحديث مجرد مجموعات من روافد الفكر المختلفة، من كتب ومخطوطات وأفلام ودوريات ومواد سمعية بصرية يضمها مبنى، وتحملها رفوف، ويحيطها من حولها أثاث وعاملون، وإنما هي المعلومات التي تحتويها هذه الروافد على اختلافها، وتنوع فهارسها، وقدرة أمناء المكتبة ومرشديها على تقديم ما يحتاجه الطالب والباحث من هذه المعلومات في مختلف مصادرها القديم منها والحديث مما يوفر للباحث مادته العلمية، ويهيئ للباحث أنسب مناخ علمي مع توفير وقته وجهده ما أمكن.

وكما نجحت مكتبة المعهد في القيام بمهامها، وتحديث خدماتها، كلما إنعكس أثر ذلك واضحا على أهداف المعهد ووحداته الأكاديمية، في مختلف أوجه نشاطاته والتربوية، وكانت مكتبته الناجحة مؤشرا دالا على إهتماماته العلمية، وعلى حظ المكتبة من العناية بتطوير إمكاناتها وتحقيق طموحاتها.

لما كان البرنامج التعليمي والبحثي يمتد من السنة الأولى الجامعية إلى الدكتوراه، فينبغي على مكتبتنا أن تقدم مصادرها وخدماتها بما يتلاءم مع هذا البرنامج فضلا عن ضرورة إستجابة المكتبة لبرامج وخطط المعهد المتعلقة ببرنامج النشر والإهتمام بالمطبوعات الجامعية وذلك لأن المكتبة تعتبر مركز إيداع المطبوعات ومركز التعريف والترويج لها.

وإذن فمكتبة معهدنا تعتبر مكتبة طلابية ومكتبة بحثية في ذات الوقت، فهي مكتبة طلابية لأنها تقدم الكتب والمطبوعات والوثائق التي تخدم البرنامج الدراسي، وتعرف الطلاب بمصادر البحث وأساليبه وتحطيمهم علما بالبيولوجيا المتوفرة في مجالات دراساتهم، وذلك يساعد على التشجيع على عادة القراءة وإستخدام المكتبات الأخرى، وهي مكتبة بحث أيضا إذ تقدم مجموعات مستغرقة في التخصص، إلى جانب أنها تهتم باقتناء المصادر الثانوية كالدوريات الكشفية ودوريات المستخلصات ومصادر المراجعات ومختلف المواد التي تغطي موضوعات محددة.

الآفاق المستقبلية لمكتبة المعهد:

من المسلم به أنه يحكم جميع الأنشطة التي تقوم بها المكتبة خطان أساسيان، أولهما هو الخط العام المتمثل في النظام أو السياسات والقواعد التي تتسم بالثبات وطول المدى، والثاني هو الخط التنفيذي وهو يتسم بالمرونة والتغير ليتواءم مع الظروف المتغيرة.

سوف نعرض بشيء من الإيجاز جوهر السياسة العامة للمكتبة وبالأخص ما يتعلق منها بنواحي التزويد والفهرسة والخدمات المكتبية ونظم المعلومات. ففي مجال التزويد والاقتناء تطمح إدارة المكتبة إلى تحديد المجال العام للإنتاج الفكري الذي يمارس قطاع التزويد فيه نشاطه بأنه العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية وما يتصل بها من علوم أخرى كالعلوم الاجتماعية والتاريخ الإسلامي، كما تحرص أيضا إدارة المكتبة على تزويد مجموعات المكتبة بالمراجع والموسوعات العلمية والدوريات المتخصصة مما يدخل في نطاق المجال العام السابق، وكذلك الحصول على نواذر المخطوطات أصلية كانت أو مصورة كما تعنى المكتبة أيضا بتزويد هذه المجموعات بجميع أنواع أوعية الإنتاج الفكري غير التقليدية مما له صلة بتخصصات الجامعة عن طريق الشراء أو التبادل أو الهداء.

والواضح أن هناك ثلاث سمات تلمحها في هذا القطاع: الأولى هي المجال الفكري العام الذي ينبغي أن يتحرك فيه نشاط القطاع التزويدي، والثانية هي تنوع شكل الوعاء الفكري ليشمل الكتب والدوريات والمخطوطات والخرائط والمصغرات الفيلمية وغيرها من أوعية الإنتاج الفكري غير التقليدية من مسجلات صوتية ومرئية وغيرها، والسمة الثالثة هي تنوع مستويات المعالجة في الأوعية من مستويات طلبة الليسانس إلى مستويات طلبة الدراسات العليا، إلى مستويات البحث العلمي المتعمق.

وفي مجال الفهرسة نهدف إلى المعالجة المركزية لجميع أوعية الإنتاج الفكري من كتب ودوريات ومخطوطات ومصغرات وغيرها وذلك لأهمية توحيد الطرق والأساليب والتقنيات المتبعة في عمليات الفهرسة الوصفية والموضوعية لهذه الأوعية لضمان الكفاءة في اختزانها بشكل منطقي حتى يتيسر إسترجاعها وتقديمها للقراء الباحثين.

يلي ذلك التسلسل المنطقي العام وهو تيسير الوصول إلى مقتنيات المكتبات من أوعية الفكر المختلفة والانتفاع بها. هذا بالإضافة إلى خدمات المعلومات

المتقدمة التي تلبي احتياجات الباحثين في مجالات تخصص المعهد ولعل الحرص على ضرورة الاستعانة بالحاسب الآلي في تقديم هذه الخدمات ما يشير إلى سياسة الانطلاق نحو التقنيات الحديثة في عالم المكتبات والمعلومات.

مع نمو حركة التعاون بين المكتبات في مجالات التزويد والفهرسة والخدمات وشبكات المعلومات، سيكون لزاما على المعهد أن يتماشى بل وأن ينضم إلى ركب هذه الحركات عن طريق التعاون مع المكتبات والمؤسسات العلمية في الجزائر وخارجها عن طريق الإشتراك في المؤتمرات ومعارض الكتاب في داخل البلاد وخارجها، ولا شك أن هذا يمثل خطأ أساسيا يضمن للمكتبة حرية الحركة التعاونية مع غيرها من المكتبات المناظرة في الداخل والخارج، الأمر الذي يوفر للمكتبة المناخ الصحيح للعمل في بيئة علمية سليمة.

1 - إنشاء قسم للمخطوطات:

بادرت إدارة المكتبة إلى اقتناء مجموعة هامة وقيمة من الفهارس والمخطوطات العربية، حيث تطمح المكتبة إلى إنشاء قسم للمخطوطات تقتني فيه أكبر قدر ممكن من المخطوطات عن طريق الشراء أو الهداء، أو مصورات المخطوطات في المكتبات الكبرى، حيث سيعمل هذا القسم على فهرسة هذه المخطوطات والمصورات فهرسة علمية بعد تسجيلها كما تستهدف تزويد هذا القسم بالقراءات الحديثة وإعداد الكفاءات الفنية للفهرسة والدراسة والبحث والعناية بترميم المخطوطات وتجليدها. ولقد بادرت إدارة المكتبة إلى اقتناء مجموعة هامة وقيمة من فهارس المخطوطات العربية.

2 - إنشاء قسم التصوير الميكرو فيلمي:

كما تأمل المكتبة في إنشاء قسم للتصوير الميكرو فيلمي، وذلك لتصوير ما تقتنيه المكتبة من المخطوطات، أو تكبير فهارس المخطوطات ومصادر المعلومات

التي نفذت طبعاتها، أي أننا نهدف إلى إنشاء مكتبة ميكروفيلمية لكل ما تقتنيه من المصغرات وخاصة المخطوطات، تضم نسخة موجبة لقاعة المطالعة يستخدمها جمهور الباحثين، ونسخة سالبة لعمل أخرى تحفظ للإستفادة منها في الأحوال الطارئة. كما أن هذا القسم سيعمل دائما لتلبية طلبات الباحثين والهيئات العلمية من المصورات والمكبرات، ويلبي رغبات التبادل مع المؤسسات المماثلة.

3 - إنشاء قسم المرئيات والسمعية:

وهو قسم يهدف إلى تزويد رواد المكتبة بما يحتاجونه من معلومات مسجلة سمعيا وبصريا، ويخدم هذا القسم الباحثين والطلاب، ويتبادل مع الهيئات والجامعات والمراكز المتخصصة بالمواد الإعلامية والدراسية المسجلة، لذلك يجب على القسم أن يتجهز بالوحدات السمعية والبصرية الآتية:

- مكتبة سمعية بصرية تحوي المواد العلمية والثقافية على شرائط الكاسيت، أسطوانات، فيديو، أفلام.

- قاعة عرض بها دائرة تلفزيونية مغلقة ووحدات إذاعة وتسجيل ووحدات البث عن طريق الدائرة المغلقة.

كما يقوم القسم بالخدمات الآتية:

- تسجيل مرئي لجميع المحاضرات والندوات الدينية والأدبية في محيط المعهد.

- تسجيل مناقشة الرسائل الجامعية.

- تزويد الرواد بالتسجيلات التي يطلبون نسخها أو الإستماع إليها مثل المحاضرات والندوات ومناقشات الرسائل الجامعية.

4 - قسم الترميم والتجليد:

إن هناك حاجة متزايدة وملحة إلى ترميم وتجليد ما يخلق من الكتب المتداولة الإستعمال، بالإضافة إلى تجميع وتجليد مجموعات الدوريات العربية والأجنبية، وتجليد الرسائل الجامعية الخاصة بطلبة المعهد. ويتم ذلك عن طريق توفير الخبرات المتخصصة والآليات الحديثة، لمواجهة الزيادة المطردة في حجم العمل ونوعياته نتيجة لتضاعف حجم مقتنيات المكتبة، وتزايد عددها وأعداد المستفيدين منها.

الخاتمة:

في الأخير تقترح إضافة وحدة رسمية جديدة للوحدات الأخرى إسمها «المكتبة والبحث» أو «المكتبة والمصادر»، هذه الوحدة من شأنها أن تزيد من قدرات الطالب على فهم طرائق تنظيم المعرفة والوصول إلى الموضوع الذي يريده والتعرف على البحوث التي سبقت حتى يمكنه الإحاطة بمختلف وجهات النظر، فهدف التعليم ينبغي ألا يكون حشو ذهن الطالب بمعلومات سرعان ما ينساها ولكن الهدف ينبغي أن يكون تنمية قدراته على البحث والوصول إلى المعرفة التي يحتاجها بنفسه.

إذن فالهدف الأساسي لهذه الوحدة هو أن يتمكن الطالب على البحث العلمي، ويطلع على المنهجية التي أتمت بها أبحاث أسلافنا العلماء، ويطلع على أمهات المصادر والمراجع في العلوم الإسلامية والعربية وما يلحق بها، ويحسن الإستفادة منها والرجوع إليها، والإنتفاع بها، فتفتح المدارك، ويكشف عن الميول، وتنمي القدرات، وتشجع المواهب، وتتكون الشخصيات العلمية من خلال البحث والعرض والتحليل والاستنباط والمناقشة وبهذا تتمازج الآراء ويتميز ويسمو الفكر، ويحسن التعبير فينطلق الطالب من الميدان النظري إلى الميدان العلمي، ومن حيز المقعد والمحاضرة إلى عالم المكتبات والمصادر وطرائق البحث.